نقاش حول « الرواية »

فن الرواية يظل ابدا موضوع نقـــاش ، لانه فن حـي ابدا. والمظهر الذي يتخذه اليوم تحت ريشة بعض الكتاب يدفع احيانـا الى التنبؤ له بالانحطاط ، واحيانا اخرى الى توقع تجديد كـامل له ، في حين يواصل روائيون عديدون ذوو مواهب ثابتة طريقهم على الدروب التقليدية الكبرى . وقد دعا اندريه بورين A. Bourin خمسة روائيين مختلفي النزعات ليناقشوا موضوع الرواية ، رغبة بان يسجل شهادة الفريقين في الموضـــوع ، وهم ناتـالي ساروت N. Sarraute وميشال دو سان بيار M. De Saint Pierre وكلود سيمون C. Simon وجان هوغرون J. Hougron وجان رينه هوغونان J. R. Huguenin

وتنشر « الاداب » فيما يلي هذا النقاش الهام مترجما عـن الفرنسية .

****

اندريه بورين ـ انتم هنا خمسة روائيـين ذوي نزعات مختلفة ، ويستظل اثنان منكم راية « الرواية الجديدة » وهي تسمية قابلة للنقاش في الحقيقة ... ولكن يبدو مع ذلك ان هذه « الرواية الجديدة » تشكل نوعا من « الدولة » داخل دولة الرواية . غير انكم جميعا ورثة ثقـافة واحدة ، ولكم تكوين ادبي يكاد يكون متشابها ، وانتم في نظر القـارىء اشخاص يروون ، بعد كل حساب ، حكاية . تروونها بشكل مختلـف ، بلا شك ، ولكنكم تروون جميعا حكاية .

وعلى هذا ، ففي أية لحظة يتم الافتراق الذي يباعد فيما بينكم ؟ وما السبب في ان كلا منكم لا يقدم لنا بعد الشيء نفسه تحت اسم « رواية » ؟ اتكون القضية هي قضية تكنيك فحسب ؟ اتكون قضيـة ايديولوجية ؟ أتقررون مواقفكم بالاضافة الى الغاية ؟

ان هذا هو ما أود ان نحاول القاء الضوء عليه هنا . انكم جميعا روائيون ، أليست الحقوق والواجبات التي تقرونها لانفسكم متشابهة ؟

كلود سيمون ـ انا لا اطرح على نفسي قضايا بعبارات اخـلاقية . فلقد تحدثت عن حقوق وواجبات . اما انا ، فان قضية الرواية لا تظهـر لي قط من هذه الزاوية ، وكذلك قضية الفن اجمالا . واعتقد ان « ايلي فور » E. Faure هو الذي قال ان الاخلاقية لا تقوم ابدا عـلى حطام الفن .

ميشال دو سان بيير ـ ان هذا خطأ كلي ، ومع ذلك فاني اوافقك على ضرورة فصل الفن عن الاخلاق . ان ميدانيهما متميزان ، وليـس بالامكان جمعهما .

جان رينه هوغونان ـ انني لا اوافق ايا منكمـــا . ويخيل الي ، بالفعل ، ان الرواية تفترض ، على العكس ، اخلاقية ما ، لانها تفتـرض ميتافيزيقية ما . ان كل رواية هي مشروع معرفة ، جهد لمحاولة نقـل رؤيتنا الخاصة عن العالم . فهي اذن ميتافيزيقية ، ومن يقل ميتافيزيقية يقل بالضرورة اخلاقية ، لان هذه الرؤية تستلزم تصورا للخير والشر ، لليقين وللشك ، وتستلزم اقرارا ورفضا . من هنا كان جميع الروائيين الكبار اخلاقيين على نحو ما .

م. دوسان بيار ـ ان هذا لا يبدو لي مؤكدا على الاطلاق . وينبغي وضع لائحة لمن يمكن ان نسميهم روائيين كبارا . ما رايـك أنت ، يـا هوغرون ؟

جان هوغرون ـ انني افكر بدستويفسكي : لقد كان مؤمنا ...

م. دون سان بيار ـ ولكنه ابعد الناس عن ان يكون اخلاقيا !

جان هوغرون ـ كلما اراد ان يدافع عن وجهة نظر ، دافع عن وجهة النظر المعاكسة .

م. دون سان بيار ـ ان الروائي يتحرر بالاختـلاق ، انـه يطـلق مخلوقات لا يستطيع ان يكون ضامنا لها . ان شخوصنا يكتسبون الحياة، أي الحرية ، حرية هي صورة لحرية مخلوقات الله ، من اجل هذا لا نستطيع ان نقدم رؤيتنا للعالم في الرواية . اننا نقدمها في الدراسة. اما الرواية ، فهي رؤية عالم الاخرين .

اندريه بورين ـ الا تريد ناتالي ساروت ان تعطينا رؤيتها الخاصة للعـــالم ؟

ناتالي ساروت ـ يبدو لي ان الاخلاقية ، كالجمال وكالشعر ، انما هي شيء يأتي بالاضافة . ويخيل الي ان الروائيين لا يسعون الى بلوغها وهم يكتبون . اذا تمكن الروائي من اختراق المظاهر ، فلا بد ان يبلـغ بالضرورة شيئا ما نقيا ، حرا ، ولكن ليس في البدء من غاية اخلاقية .

اندريه بورين ـ وماذا هناك في البدء ؟

ناتالي ساروت ـ سعي وجهد لاختراق المظاهر واكتشاف شـــيء مجهول ... وعلى أي حال ، امتلاك هذا الوهم ...

جان رينه هوغونان ـ انا موافق .

كلود سيمون ـ نقاط الانطلاق ... عندي هي نقل الرؤية الذاتية للعالم التي استطعت ان احصل عليها . غير انه يتضح ، على نحو يـدعو الى الفضول حقا ، اننا حين ننطلق قائلين : « سنحاول التعبير عـن كذا وكذا : « ترجمة » هذا الامر ، او ذاك ، يتولد من اللغة نفسها، مـن مادة للبناء ، شيء يفاجئنا ، شيء لم يسبق لنا أن فكرنا بصنعه. يخيل الي أن الكتاب يصنع على مستوى الكتابة ، على مستوى اللغة. ان اللغة ليست هي وسيلة وحسب ، بل هي محرك . انها هي ايضا خالقة .

ميشال دوسان بيار ـ ان عندي مفهوما مخالفا كل المخالفة . ان الرواية في رأيي هي خلق الحياة . وانا مختلف تماما مع بول بورجيـه الذي كان يجلس الى الطاولة ويقول : « هذا ما افكره ، انا بورجيـه، عن « التلميذ » وعن معنى الموت الخ ... » .

كلود سيمون ـ ليست القضية في نظري قضية افكار ، انما قضية احاسيس .

م. دوسان بيار ـ كان بوسع بورجيه ، لو كان معنا ، ان يذهب الى ان القضية هي في وقت واحد قضية افكاره الخاصة واحاسيســـه الخاصة . غير ان الروائي في نظري هو على عكس ذلك شخص يطـلق في الزمان والمكان شخوصا يملكون حرية كاملة تجاه خالقهم . وانمـا هم بهذا الشكل موجودون ، شأن الجنس البشري الذي لا يوجد الا لانه حر بالنسبة الى الرب .

جان هوغرون ـ انك تطلق شخوصك ، ولكن من أين يأتون ؟

م. دو سان بيير ـ الحق اني اومن بالسر والخفاء والمعجزة. ان احدا لم يستطع قط ان يعطيني مفتاح الخلق الروائي . انك تلاحظ فجـاة، بفضل منطق داخلي ليس هو منطقك ، ان شخصا يصنع بحماسة خطابا من ثلاث صفحات ، خطابا قد فكرت فيه انت وكتبته ، وان لم تكن على وفاق معه ، خطابا يملك معذلك حرارة ما ، بلاغة ما ، معنى ما .. هوذا سر فننا ومهنتنا !

جان رينه هوغونان ـ ان ما يدعى بترك الابطال يتكلمون بحـــرية يعني بلوغ حالة ما يطلق فيها الروائي اشياء لا تزال مجهولة لديه،ولكنها مع ذلك صادرة عنه .

م. دوسان بيار ـ هذا مفهوم فرويدي للرواية ، ولست اقره .

جان هوغرون ـ انني انضم الى مفهوم هوغونان . نحن نكتشف ونحن نكتب اجزاء من انفسنا كانت عند البدء مقنعة على نحو ما . انني لا اومن بالخيال ، ولا بذلك التدخل الذي له جانبٌ الهي ، والذي يضايقني قليلا ، لهذا السبب بالذات .

كلود سيمون ـ انا لا اقر هذا التمييز الذي يتبناه كل من هوغونان وهوغرون وميشال دوسان بيار بين المضمون والشكل ، بين المحتوى والاناء ... ويخيل الي ان الشيئين كليهما شيء واحد ، او على الاقل ليس ثمة من محتوى بلا اناء والعكس بالعكس . ان احدهما يخرج من الاخر . انهما مرتبطان ارتباطا صميميا فيما بينهما . وليست القضية بالنسبة لي ان اضع في قالب انيق افكارا او احاسيس خطرت لي فرحت ابحث لها عن اناء ، عن زجاجة اذا شئتم ... لا ، بل ان هذا الاناء يفرز محتواه او بالعكس حتى لا يكونا في اخر المطاف الا شيئا واحدا .

ناتالي ساروت ـ لا استطيع ان اقول الا شيئا واحدا ، هو انني متفقة مع كلود سيمون . يخيل الي ان الشكل هو الحركة التي بها يحيا المضمون . واذن ، فان هذه الحركة عمل خلاق .

جان رينه هوغونان ـ اود ان اقول كلمة . لقد حاولت الرواية الجديدة التي تمثلونها ان تحدد نفسها ، ارادت ان تحدد نفسها بهذا القانون بالذات : لا شكل بلا مضمون ، ولا مضمون بلا شكل . ولكن يخيل الي ان هذا امر بديهي تماما وانه لم يكف قط عن ان يوجد في الادب . ولا اعتقد ان راسين قد انكره ، بل ان فلوبير قد اكده الف مرة .

كلود سيمون ـ ان فلوبير « حالة » هامة جدا لانه في رايي يؤرخ نوعا من الافتراق ، من التغيير الكامل في الادب الروائي : هو نهاية الرواية ذات الفكرة ، الرواية الاخلاقية التي تحمل تفسيرا للعالم وحلا غائيا . ان مدام بوفاري تموت على نحو فظيع ، ولكننا نعلم ان هذا ليس له اي معنى أخلاقي ، ذي مغزى . فقد كان يمكنها ، ككثير من النساء الاخريات اللواتي خدعن ازواجهن ، ان تموت مرتوية وسعيدة جدا ، أليس كذلك ؟

واذن ، فان هناك ابتداء من فلوبير تيارين قد افترقا بوضوح . لقد قال فلوبير : « ما أشد ما تضجرني قصة اولئك الابطال ، وتلك الحبكة .. ان مدام بوفاري هي أنا ... » لقد قالها مرات .

ميشال دوسان بيار ـ حقا ، كنت انتظر ان تصل الى عبارة « ان مدام بوفاري هي أنا ... » هل قرأت مراسلات فلوبير ؟ ان فلوبير يظهر فيها غير متفق البتة مع هذه العبارة ، على الاطلاق ! لقد كان فلوبير يؤمن حقا بخلق « حياة تلقائية » ، وهذه العبارة بالذات واردة في مراسلاته .

كلود سيمون ـ غير انه قد قال : « ان كل ما اردت ان افعله شيء رمادي ، رمادية العفونة ... » .

ميشال دوسان بيار ـ اننا غير متفاهمين ! فان ما اناقشه عبارة : « مدام بوفاري هي أنا ... » .

كلود سيمون ـ ان ما اقصده هو ان نقطة الانطلاق هي دائما ذاتية . ان تصوير العالم كما رأيناه ، لا كما يمكن لاله ان يراه ، هو محاولة لامتلاكه ، ولالتهامه . ويشعر من يقرأ فلوبير بنوع من السعار .

ميشال دوسان بيار ـ حسنا ! ان فلوبير . هو اذن احد كبار اجدادك ! وبالفعل ، اعتقد ان الامر أشد تعقيدا من ذلك ، لان فلوبير قد شرح في مراسلاته ، غير مرة ، ما كان يعنيه بقوله « مدام بوفاري هي أنا » . فمن المؤكد ان الكلمة نكتة ، وليست هي جهرا بعقيدة روائية .

ناتالي ساروت ـ يبدو لي ان في الرواية الجديدة نوعا من التحويل لمركز الثقل . فان الاشخاص والحبكة تهمنا اقل من ذي قبل .

جان رينه هوغونان ـ ما هو مركز الاهتمام الجديد في نظرك ؟

ناتالي ساروت ـ مادة ما ، نظام للاحاسيس التي هي من التعقيد بحيث تتجاوز البطل ان هذه المادة نفسها قد تغيرت . لقد حدث نوع من الثورة في مطلع هذا القرن .

كلود سيمون ـ لقد ترك الموضوع ، كما حدث في الرسم .

ميشال دوسان بيير ـ انه لم يترك على الاطلاق .

ميشال دون سان بيار — جان رينه هوغونان

كلود سيمون ـ ترك المعنى .

ميشال دوسان بيار ـ انني احتج هنا غاية الاحتجاج . انا لا اغض من شأن الرواية الجديدة ، ولا من شأن الفن التجريدي . ولكن ما اراه هاماجدا ان الاثار العظيمة ما تزال تصدر ، وان الانهار الكبيرة ما تزال تجري نحو البحر نفسه . ليس هناك من جديد .. لم يخترع شيء ، على الاطلاق . ثم انكم لستم انتم الذين عمدتم رواياتكم : روايات جديدة . ان ما يدعى بهذا الاسم هو احد فروع فننا جميعا ، انه شيء قد أعلن من قبل ، بل قد كتب منذ مئات السنين .

كلود سيمون ـ بكل تأكيد . اننا لا نفعل الا ان نستمر ...

ميشال دوسان بيار ـ لقد خلقتم شيئا يضرب جماع المنافسة ، اما نحن فنخلق شيئا يحرك بالدافع نفسه .

كلود سيمون ـ اوه حتما .

ناتالي ساروت ـ حتما .

ميشال دوسان بيير ـ هناك من لا يقر ذلك . ان اندريه بريتون يقول لكم مثلا « حين ننتهي من جميع الذين ما يزالون يقارنوننا بهم .. ان هذا يلقي بكل شيء عرض الحائط . كل شيء اخر قد مات اما انا فاعتقد ان ميدان الاداب والفنون ترويه جميع الانهار معا ، ولهذا اهمية كبيرة عندي ، لانه ينبغي الا نستبعد شيئا على الاطلاق ، لا شكل فن ولا شكل فكرة ولا أي شكل اخر .

اندريه بورين ـ هل تشاطره الراي ، يا جان هوغرون ، في هذه « التحررية » ؟

جان هوغرون ـ انا اروي حكايات . ان لي مفهوما ليقول انه قد تجاوز ، انا اروي حكاية ، أرى أشياء ...

ميشال دوسان بيار ـ ولكن لا ، ان هذا لم يتجاوز !

جان هوغرون ـ انني انطلق من الانفعالات ، والانفعالات تهمني ، لا الابطال . انا اقرأ الرواية الجديدة ، ولا يزعجني فن «البلانيتاريوم» (١) على الاطلاق ، انني أجد فيه شيئا قريبا مني ، ولكنه اقوى كثيرا ، غير ان بوسعي مع ذلك ان اعبر عنه اذا سلكت هذا الطريق . ولكن هذا لن يكون طبيعيا لي . ولهذا أبقى متشبثا بحكاياتي . ربما كان ذلك يعزى الى طراز من الحياة ، الى تنقلات هائلة ، الى تصعيد عبر اوساط اجتماعية مختلفة . بيد انني مثل ميشال دوسان بيار ، لا أنجح في اقامة التمييز الذي تتحدث عنه الرواية الجديدة ، واحاول ان احدده .

ميشال دوسان بيار ـ ان هوغرون يحاول ان يحدد الرواية الجديدة لاسباب لا يستطيع هو نفسه ان يفصح عنها .. ذلك لان عمله الادبي هو نفسه من الرواية الجديدة . ان في سلسلته « الاسيوية » شيئا أجده

(١) Le Planétarium رواية لناتالي ساروت (المترجم).

كلود سيمون

جان هوغرون

جديدا مئة بالمئة ، يخالطه غالبا ما اسميه بـ « النزعة الانسانية الجديدة » وما يقذفنا باستقامة ، في بعض اللحظات ، نحو العلم التوهم، مثلا .

جان هوغرون ـ اود ان اقول ببساطة اني احب كثيرا مؤلفي الرواية الجديدة وبصورة خاصة ناتالي ساروت وكلود سيمون ، ولكن مع الاسف، أعتقد اني سأزعجهم ، لاني ارى خصوصا انهم يخلقون ابطالا .

اندريه بورين ، اجرؤ على القول انك ، يا جان رينه هوغونان ، قد دخلت الحلبة الادبية بعد الاخرين المشاركين في هذه الندوة بسنوات عديدة . كانوا قد اتخذوا مواقفهم قبلك . واود ان أسألك اذا كان تعارضهم واختلافهم قد جعلاك تتردد في اختيار الطريق الذي تتبعه، أتراهم قد خلفوا الحيرة لديك والقلق على الاقل ؟

جان رينه هوغونان ـ لم اواجه هذه القضية ، فلم تكن هناك مشكلة . لقد بدأت الكتابة وانا يافع جدا ، وقد كنت دائما مدفوعا برغبة جوهرية في اختراع ابطال من غير ان اقصد حقا خلقهم بصورة اعتباطية اكثر مما ينبغي ، على غرار بطل الرواية الكلاسيكي ، بل بقسط اكبر من الحرية . انني لم أتساءل قط اذا كان علي ان ادخل هذه المدرسة او تلك . ثم انني اعتقد ان الذنب ليس ذنب الرواية الجديدة اذا ظهرت نظامية الى هذا الحد .

ناتالي ساروت ـ ان هذا المصطلح « الرواية الجديدة » انما فرضه النقد .

كلود سيمون ـ ان جهدي كله مرتكز على « كيف » الاشياء ، لا على « لماذا » . وربما كان سبب ذلك بكل بساطة اني سأيء التمييز ...

جان هوغرون ـ انها سذاجة كبيرة التساؤل عن الـ « لماذا » .

كلود سيمون ـ يشغلني الـ « كيف » بكل بساطة ، كيف هي الاشياء ، وكيف ننقلها . وقد قال رولان بارت في مقال حديث له، وكان على حق ، ان الكاتب اذ يطرح سؤال الـ « كيف » وحده ، انما يطرح في الوقت نفسه سؤال الـ « لماذا » . وربما كان ما يميزنا يكمن هنا.

ميشال دوسان بيير ـ انك تدافع عن دعوى مغرضه . فالامران يسيران معا ، ويبدو لي ان المرء يقع في جدليات لستم انتم مسؤولين عنها حقا ، ولكن اخرين مسؤولون عنها ، لانهم ارادوا ان يقيموا نظريات وبيانات أدبية . وانا ارى ذلك رديئا جدا .

كلود سيمون ـ لم يصدر احد منا اي بيان ادبي ..

ميشال دوسان بيار ـ لست انتم ، بل اخرون .

كلود سيمون ـ كل ما فعلته ناتالي ساروت انها درست مهنتها ككاتبه ، والان روب غرييه قد كتب هو ايضا ، كما كان يقول ، ليفي نفسه لنفسه . والحق انه ليس ممنوعا على الكاتب ان يتساءل كيف تم له ان يفعل ما فعل .

ميشال دوسان بيار ـ لست متفقا معك كل الاتفاق . ان القضية تصبح قابلة للنقد بمقدار ما يريد الكاتب ان يطبقها على الفن الروائي بصورة عامة .

كلود سيمون ـ ليس فينا من يريد تطبيق ذلك بصورة عامة .

ميشال دوسان بيير ـ ان تبعية ذلك تقع اذن على بعض النقاد.

كلود سيمون ـ احد الاعتراضات الشائعة لدى النقاد قولهم : « لا ندري ما الذي قصد اليه فلان الروائي ، ولا نفهم الرسالة التي اراد ان يحملها لنا ... » . والقضية الان لا تخلو من غرابة ، لاننا نشهد في السينما نوعا من كاريكاتور الرواية في تصريحات المخرجين . انانطونيني مثلا يصرح بصدد كل فيلم من أفلامه : « لقد اردت ان اثبت أن ..اردت انا عرض فكرة ان ... » في حين انه ليس لدي شخصيا اية نظرية اريد عرضها .

اندريه بورين ـ هل يزعجك النقاد ؟

كلود سيمون ـ لا ، والواقع انهم كانوا جميعا لطفاء معي ، ولكني اندهش حين اقرأ بلا انقطاع، بصدد كتاب اخرين ، الحجة الخالدة: «اننا لا نفهم جيدا ماذا تقصد هذه الرواية ، وما هو المغزى الذي يحمله هذا الكتاب ... »

جان رينه هوغونان ـ بمقدار ما اقر الرواية الجديدة حين تقول ان الشكل والمضمون غير متميزين ، أخالفها حين تقول ان الكيف واللماذا مختلفان . فبمجرد ان يكون هناك كيف ذاتية ، هناك لماذا . يخيل الي ان « البلانيتاريوم » مثلا تحوي ميتافيزيقية ، ولو لم يرض ذلك ناتالي ساروت .

كلود سيمون ـ لقد قيل مثل ذلك بصدد كتبي ايضا . هذا ممكن. ولكن هذا يعيدنا الى قول بارت : ان الكيف يفضي الى اللماذا ، او انه بالاحرى يتضمن اللماذا .

ميشال دوسان بيار ـ هذا الاصرار على ترديد عبارة : « اية رسالة تحملها لنا الرواية ، ما الذي قصدت اليه .. » كنا جميعا ضحايا له. فمثلا استقبل النقاد استقبالا حسنا روايتي « همسات الشيطان » و « الارستقراطيون الجدد » ، ولكن بعض المقالات عن هذه الرواية او تلك التي كانت تنتهي بعلامة استفهام ، بينما لم افكر ،مبدئيا ،باني اردت ان احمل روايتي رسالة ما . انني في ذلك مثل هوغرون ، مثلك انت يا كلود سيمون ، مثل هوغونان . فرواية « الشاطيء المتوحش » اذا سئل مؤلفها عن غايتها العميقة، واذا شاء الناقد ان يبحث عن الوان الـ«كيف» و «اللماذا» فيها ...

جان رينه هوغونان ـ لو كنت انا أعرفها ، لما استمررت في الكتابة.

ميشال دوسان بيير ـ جواب عظيم . مرحى .

اندريه بورين ـ انني اجدكم اجمالا اكثر اتفاقا مما كنت أظن. ولكن لنواصل .

جان رينه هوغونان ـ أجل ، ذلك ان هناك امرا هاما ، هو ان الرواية الجديدة تتفرد برفض الكلمات المجردة ، وهو في الحقيقة الشيء الوحيد الذي يكسبها شخصية محددة جدا . وهذا التفرد صادر عن ان الكلمات المجردة قد يليق من الاستعمال وان معانيها قد تغيرت تغيرا فظيعا . خذ مثلا كلمتين مثل « حب » و « شرف » ، لقد تلبستا حقائق مختلفة جدا حتى اننا نشعر نحوهما بحذر شديد ولا نستطيع بعد ان نستعملهما . اننا نؤثر حقائق محسوسة لم تتغير . فالطاولة هي دائما طاولة . وهذا الادراك قد قلب جيلا بكامله .

ميشال دوسان بيير ـ لست موافقا بحال من الاحوال . « حب » « شرف » .. كفى ! انها كلمات لا تبلى ! فما هذه الحكاية ؟!

جان رينه هوغونان ـ اذا كنت ...

ميشال دوسان بيار ـ طبعا ! ان كلمة « شرف » مثلا كلمة كف التساؤل حولها لان لها ثقلا وصلابة مزعجين ، ولكننا لم نستنفد محتواها، ويلزمنا لذلك وقت طويل !

جان رينه هوغونان ـ لم نستنفد محتواهـا، ولكننا نحن لا نعطيها بعد ..

ميشال دوسان بيار ـ انني اوقفك على الفور . من ، نحن ؟ ان كلمة شرف في رأيك جوهرية ، فحولها يدور ابطالي ويدورون ، كما تدور العصافير حـول شجرة . هذه الكلمة « شرف » قائمة في وسـط المشاهد التي أصورها . انني أحط عليها ، وأطير ثـم أعود اليها . اما ان تأتي فتقول لي ان كلمة شرف هي الان لا ادري ماذا .. كيف كنتتقول ؟

جان رينه هوغونان ـ كنت اقول انها تتلبس الان حقائق اشد تعقيدا مما كانت في القرن السابـع عشر ، حين كان راسين يستعمل هذه الكلمـات « شرف » ، « فضيلة » ، « مجد » كان مفهوما جدا ما الذي يقصده . كانوا يصيبون الراحة فيالكلمات المجردة ، فيان كلمة مثل «حب» هي اليوم على غاية التعقيد .

ميشال دوسان بيار ـ كانت كلمة « شرف »فـي ذلك الحين لا تقل تعقيدا عما هي الان . وهذا ما يلاحظ بالاطلاع على ما كتبه اصحاب المذكرات . واذن ، فلم يتغير شيء . أنكون حقا قد تطورنا الى حد ان ظاهراتنا الانسانية أصبحت بعد هذه الكلمات ؟

جان رينه هوغونان ـ يجب اعادة تعريفها . لقد كانت محددة كـل التحديد في القرن السابع عشر ...

ميشال دوسان بيار ـ هذا غير صحيح على الاطلاق .

اندريه بورين ـ أليس الاصح ان الناس هم الذين تغيروا ؟ ففـلان الكاتب اليوم ، أكان يكون في الماضي كما هو الان ؟

جان هوغرون ـ لا أظن انني لو كنت اكتب منذ قرنين ، لكان وضعي مختلفـا .

اندريه بورين ـ ألا تعتقد انك متضامن مع العصر الذي تعيشفيه؟

جان هوغرون ـ لا .

اندريه بورين ـ وانت يا ناتالي ساروت ، أتستطيعين ان تجيبي ، كهوغرون ، بانك لست متضامنة مع العصر الذي تعيشين فيه ؟

ناتالي ساروت ـ لقد غير الكتاب الذين جاءوا قبلنا المادة الروائية. فانني حين اقرأ الان فلوبير ، لا اقرأه طبعا كما كان يقرأه معاصروه.

جان هوغرون ـ وما الذي يغيره هذا ؟

ناتالي ساروت ـ انني لا أهتم بأبطاله ، انا لا اهتم مثلا بشخـص مدام بوفاري .

ميشال سان بيير ـ ليست الرواية هي التي تتطور ، بل نحن الذين نتطور ...

اندريه بورين ـ لنعد ، اذا شئتم ، الى قضية اللغة . لقد كـان جان رينه هوغونان ، يذهب ، خلافا لميشال دو ســان بيير ، الى ان الكلمات ، او بعضها على الاقل ، ينتهي بها الامر الى ان تبلى . أتوافقين على ذلك ، يا ناتالي ساروت ؟

ناتالي ساروت ـ ان كل ما قرأناه يدل في الواقع على ان كلمـة « حب » مثلا تمثل كثيرا من الاشياء حتى بتنا لا نعرف ما الذي تعنيه.

ميشال دوسان بيير ـ انها تمثل في عهد تجربة ما ، في عهد النضج، اكثر مما تمثل في عهد المراهقة ، ولكني أعتقد ان الاعزاء الذين سبقونا، كان شانهم مثل هذا ، هم ايضا .

ناتالي ساروت ـ ولكن لا تأخذ كلمة « حب » ، بل خذ كلمـة « غيرة » ، فيخيل الي انه لو لم يوجد بروست لما كان لها المعنى نفسه..

جان هوغرون ـ انني هنا غير موافق البتة .

ميشال دوسان بيير ـ على الاطلاق . ان غيرة بروست تحمل المعنى نفسه الذي تحمله غيرة مدام دولافاييت ...

ناتالي ساروت ـ اذا اختصرتها ، فانما تحتفظ منها بصـورة اجمالية . ولكن أعد قراءة بروست ، وتأمل ما في غيرته ، الحق انهليس

ناتالي ساروت

فيها شيء الا من عنده ... اذا قلت الغيرة ببساطة، نسيت كل ما تشمله هذه الكلمة .

جان هوغرون ـ افكر بمفهوم لدى بروست. انه مفهوم مدهش معجب ، ولكني حين اكتب لا افهـم كيف يستطيع هذا المفهوم ان يتواصل بما أفعله.

ناتالي ساروت ـ أتجرؤ على استعمال كلمـة « غيرة » على هذا النحو ؟ اما انا ، فلا أجرؤ ، ان ذلك لا يخطر في بالي. فان جميع مفاهيم هـذه الكلمات ، غيرة ، حب ، كراهية ، قد اصبحت عـلى غاية من التعقيد .

ميشال دوسان بيير ـ أتعتقدين اننا مدينـون بهذا لبروست فقط ؟

ناتالي ساروت ـ اننا مدينون به للعالم الـذي نعيش فيه .

جان هوغرون ـ لا بد أن هذا فظيع ، عائق كهذا في سبيل الكتابة .

ناتالي ساروت ـ ولكنه ليس عائقا .

ميشال دوسان بيير ـ اما انا ـ فأصرح بأني لا اعترف لاحد بالحق بان يمنعنيمن استعمال كلمة او استخدامها . ولن أقبل ابدا عائقا كهذا.

ناتالي ساروت ـ اؤكد لك مرة اخرى انه ليس عائقا .

ميشال دوسان بيير ـ لقد قلت : « انني لا أجرؤ ... »

ناتالي ساروت ـ لا اجرؤ لان هذه الكلمات لا تعبر عن احاسيسي .. من اجل هذا اقول اني لا اجرؤ .

جان رينه هوغونان ـ بل هذا عكس العائق . فمنذ اللحظة التي ترغبين فيها بكتابة : « كان يغار » تصبحين أسيرة صيغة ما .

كلود سيمون ـ هذا الاحساس سيكون شديـد الايجاز بالنسبة لتعقيد ما توحيه الغيرة لناتالي ساروت . فكتابة عبـارة « كان يغـار » تبدو لها شيئا تقريبيا الى حد بعيد .

ميشال دوسان بيير ـ لقد صور بروســت الوانا من الابيرانـت الحقيقية ، ولكني لا اعتقد انه أضاف أي شيء الى راسين فيما يخـص معنى الغيرة .

جان هوغرون ـ بلى ، بلى ...

جان رينه هوغونان ـ قارن ، يا ميشال دوسان بيير ، مسرحيـة لسوفوكل بروايات بروست ، وادرس كل ما يفصل بينهما ، وستـرى انه تطور مستمر في الادب ، وانا لا اطلب ان تمعن اكثر فاكثر فـي التفاصيل ، وانما تحصر اكثر فاكثر الأشياء التي تحلل . لقد كـان بامكان سوفوكل أن يكتفي بصفحة واحدة عن الحـب او الغيـرة او التضحية . اما اليوم ، فان الرواية لا تصور بعد عاطفة ، بل تصـور صفة ، لونا من الوان العاطفة ...

ميشال دوسان بيير ـ ان افلاطون يصور جميع القضايا ، وليـس لدينا ما نضيف شيئا عليه . كل ما هناك ان الفلاسفة الذين كانوا فـي الماضي يهتمون بهذه القضايا ، وكذلك علماء الاخلاق ، لا الروائيـون، لسبب بسيط هو ان الرواية لم تكن موجودة في عهد سوفوكل ، عـلى الاقل بالشكل الذي نعرفه . ولكن لنعد الى الغيرة . انـت تقول ان بروست قد تعمق موضوع الغيرة اكثر من أي انسان اخر ، اما انـا، فاقول بصراحة ان بروست لم يضف شيئا على افلاطون في هذهالنقطة.

جان هوغرون ـ انه يقدم لنا وجها بروستيا من الغيرة ، لا شيئـا اخـر .

جان رينه هوغونان ـ لقد فصلوا الحاجة ... كما هو الشأن فـي العلوم . لقد اكتشفوا الذرة التي كانت قابلة للتشريح ...

ميشال دوسان بيير ـ ان هنا قضية علمية لا علاقة لها اطلاقا بمـا نحن بصدده ...

جان رينه هوغونان ـ ليس بالامكان اختراع عواطف اخرى.

اندريه بورين ـ بمقدار ما يكبر العالم ويصبح اكثر تعقيدا ، يغرى

الروائي بتضييق حقل نشاطه ورؤيته . فلماذا ؟

كلود سيمون ـ ان جواب ناتالي ساروت سيكون ما قصدت اليه وانت تتحدث عن الغيرة . أعتقد اننا نحن نحتاج الى ميكروسكوب.

جان هوغرون ـ ولكن هذا مريع . ان هذا يريعني.

ميشال دوسان بيير ـ اما انا ، فأفضل التلسكوب .

كلود سيمون ـ خذوا العلم مثلا . انكل واحد ينصرف اليه يتخصص تخصصا ضيقا في ميدانه . فمثلا ، ليس ثمة في التشريح بعد ، من يتعاطى كالماضي الطب العام .

جان هوغرون ـ كان يكون مؤسفا في القرن العشرين ان يرتمي شخص كدستويفسكي في التخصص . على ان ذلك كان يمكن ان يرد ، ولكنه لم يفكر فيه لحظة واحدة .

ناتالي ساروت ـ لقد حدثت ثورة حقيقية في بدء العصر. وأعتقد ان بروست وجويس كانا رائدين .

ميشال دوسان بيير ـ ليس اكثر من كثيرين اخرين .

كلود سيمون ـ كسيزان وفان غوخ في الرسم .

جان رينه هوغونان ـ اعتقد أن هناك ظاهرة اخرى يجب الاشارة اليها في تطور الرواية . لقد وعى الروائيون انه كان ثمة كذب وخداع في ان يقرروا ، منذ البدء ، ان يكون لبطل ما شخصية محددة ، وانه يجب ان يكونوا امناء لها حتى احر سطر من الرواية . لقد وعوا أن ذلك لا يتم كذلك في الحياة . ولقد اخذوا يعترفون شيئا فشيئا بأهمية المفارقات والدقائق ، وبالتالي ، أهمية التناقضات لدى البطل . انهم يحلون دراسة المصائر محل دراسة الشخصية . فليس ثمة بعد دراسات بسيكولوجية ، وانما دراسة المصائر .

ميشال دو سان بيير ـ الكاتب الذي اهتم اهتماما بالغا بفكرة المصير ، هو موریاك .

جان رينه هوغونان ـ وبرنانوس أيضاً .

ميشال دوسان بيير ـ صحيح ، ولكن من جهة اخرى ، لا يفصل موریاك ولا برنانوس فكرة « المصير » كما تفهمونها ، عن « الله » . انهم يضعون الحضور الالهي كشرط رئيسي.

جان رينه هوغونان ـ وكذلك الشأن بالنسبة لكافكا . فالبشرية، في نظره ، هي التي يستعطي شكلها . اما بالنسبة لبرنانوس ، فالله. وبالنسبة لموریاك ، صراع النعمة والاثم ، وهذا ما يشرح ان الرواية الجديدة تتبع هذا الاتجاه ...

ميشال دوسان بيير ـ هناك فكرة واضحة جدا عن المصير فيأعمال زولا ، بالرغم من مظهره البسيط .

كلود سيمون ـ اننا لم نخرج من العدم . وليس فينا من يزعم انه مارس الادب انطلاقا من الصفر .

ناتالي ساروت ـ انما الصراع ضد المذهب التقليدي هو الذي يستمر . وقد كان ثمة دائما صراع ضد هذا .

ميشال دو سان بيير ـ اننا نصارع دائما ضد التقليد باسم تجديد المادة المخلوقة ، هذا صحيح .

جان رينه هوغونان ـ أجل ، هناك صراع ضد التقليد ، ولكن المرء يقول لنفسه بين الحين والحين : « اوه ! ما الذي اكتبه الان ؟ ان هذا يصبح غير مفهوم ، غير منسجم . فلنجهد بان نكون تقليديين اكثر من ذلك ! » واذن ، فان صراع الروائي ، هو من اجل ان يعود الى اطار، الى أشكال احسن تحديدا ، واكثر فهما واقدر على النقل والاعداء .

كلود سيمون ـ ليس هذا ما اراه على الاطلاق .

ميشال دوسان بيير ـ وانا كذلك .

كلود سيمون ـ ان الشيء الوحيد الذي التمسه ، هو ان انقل بدقة ما أحسه .

ناتالي ساروت ـ حين ذكرت الساعة الصراع ضد المذهب التقليدي ، عنيت الصراع ضد ما هو متواضع عليه ، ضد هذا القالب الذي تنصب فيه الفكرة بدافع من طلب السهولة والكسل .

كلود سيمون ـ ان هناك شيئا واضحا جدا . حين عرض الانطباعيون لوحاتهم الاولى ، أخذ الناس يصيحون : « كيف تكون هذه الالوان البنفسجية ، الزرقاء على تلك الاشجار ... » الى ان لاحظوا ان ذلك صحيح ، وانما لم يكونوا يرونه ، لان رؤية جاهزة للشجرة (جذع كستنائي او رمادي بصورة متساوية ، واوراق خضر على نحو واحد) كانت تأتي فتقف بين الرؤية الواقعية وادراكها . انما تطلبه ناتالي ساروت هو ان تحذف الرؤى الجاهزة ..

ميشال دوسان بيير ـ ان هذا يبدو مريعا . فانا حين أكتب، يأخذني هم مختلف كل الاختلاف ، واستشعر فرحة عجيبة بان أخلق الحياة . وانا مسرور بمقدار ما يكون ذلك حيا . اما ما دون ذلك ، فأعترف اني لا افهمه كثيرا .

كلود سيمون ـ وما هو مرجعك في ذلك ؟ ان مرجعي انا : هل ذلك مشابه ؟

ميشال دوسان بيير : اما مرجعي فهو : هل ذلك حي ؟

ناتالي ساروت ـ وما الذي يتيح لك ان تتأكد من ذلك ؟

ميشال دوسان بيير ـ ان ذلك حدسي وحسب . ان الحياة لا تقاس بعداد « جيجر » . لماذا يكون ذلك حيا ، او لا يكون حيا ، أراني غير قادر على شرحه لكم، ولكني أنا احسه بآلة الالتقاط الخاصة بي.

جان هوغرون ـ وانت ، يا كلود سيمون ، حين تقول انه مشابه، مشابه بالنسبة الى أي شيء ؟

كلود سيمون ـ بالنسبة لانفعالي ، لذاكرتي ، لخيالي .

جان هوغرون ـ وانا ايضا ، التمس الانفعال ، واحاول ان أجده .

ناتالي ساروت ـ بالتأكيد ، اننا جميعا نحاول .

جان هوغرون ـ وقلما تهمني الحكاية .

جان رينه هوغونان ـ اود ان اطرح سؤالا . فانه يهمني ان اعرف اذا كنتم تقرون ان هناك لحظات ، حين تكتبون ، تنجحون فيها اكثر مما تنجحون في لحظات اخرى بحذف ما تسمونه الانفعال الجاهز ، وبالعثور على طريقتكم الشخصية في التعبير بشكل يسير ، او اذا شئتم ، تلك الحالة التي تسمى بالالهام ؟

ناتالي ساروت ـ ان ما احصل عليه ، بالنسبة لي ، انما يصدر عن أعداد ما أبعد في اثنائه كل ما يقنع الاحساس ما امكنني ذلك. انني احاول بكل قواي ان أعزله وان احاصره . آنذاك فقط يستطيع الشكل ان ينتفض بالحياة .

كلود سيمون ـ ليس هناك من الهام . وذلك لا يأتي الا بالعمل الجاهد .

جان هوغرون ـ انني اشاطرك الرأي .

كلود سيمون ـ كل يوم اجلس الى طاولة عملي ، ولكني اذا انشغلت بشيء اخر ، تمتنع علي الكتابة ..

ميشال دوسان بيير ـ يحدث مع ذلك ان يمر التيار ...

كلود سيمون ـ هذا راجع الى ان الروائي يكون قد جهد طوال ساعات وساعات لحذف جميع الاشكال التي لا تناسب ، جميع الاشكال التي لا تنسجم ...

جان رينه هوغونان ـ وهذا بالتأكيد ما كان يفعله سوفوكل وراسين، كما تعلمون .

اندريه بورين ـ ها نحن ذا نستعيد رؤية خالدة للاشياء . واحسب ان ذلك يمكن ان ينهي ندوتنا .

ترجمة ((الاداب))

طبعت على مطابع :

((دار الغد))

تلفون ٢٢٢٩٢١